شهادة ألمانية بريادة الفراعنة

■■ على مدى نصف ساعة كاملة أذاع التليفزيون الألمانى الأسبوع الماضى برنامجا تم بثه من متحف برلين وعلى وجه التحديد من قسم المصريات بالمتحف عن اكتشاف للعلماء الألمان المتخصصين فى علم المصريات، مفاده أن الفراعنة كانوا يعيدون تدوير المخلفات مثل ورق البردى ليعاد استعماله مرة أخرى، وذلك منذ ألفى عام قبل الميلاد أى منذ أربعة آلاف عام من موقعنا الزمانى الآن.

م. نادر رياض

وبعد مقدمة جذابة من المتحدثة الألمانية باسم المتحف عرضت فيها أنواع الأقنعة المكتشفة والمستخدمة بتوابيت الفراعنة، والتى انحصرت فى ثلاثة أنواع، أغلاها سعراً ومقاما كان قناعا من الذهب الخالص مثل قناع الملك توت عنخ آمون تليه الأقنعة المصنوعة من الخشب، ثم تأتى بعدها الأقنعة الأقل تكلفة وهى المصنوعة من طبقات من ورق الكارتون بما يشبه الجبس.

وانتقلت بعد ذلك الكاميرا لنشهد جزءاً من هذه الأقنعة المصنوعة من كارتون بسمك ١٠مم يعلوها طبقة خارجية من الجبس مرسوم عليها صورة ملونة لوجه المتوفى والتى ليست فى الواقع سوى طبقات متتالية ملتصقة بعناية من أوراق البردى السابق استعمالها فى كتابة محررات رسمية أو شخصية.

وعكف خبراء المتحف على فحص بعض الأقنعة التى وردت إليهم لكنها كانت فى حالة سيئة لتعرضها للتمزيق والتحطيم من قبل، وحاولوا فصل الطبقات المتكونة منها هذه الأقنعة المحطمة عن طريق غمرها فى محاليل كيميائية لتفكيك المادة الصمغية التى ربطت بين طبقات أوراق البردى، وفوجىء الباحثون بأن أوراق البردى المستعملة لم تكن سوى أوراق محررات سبق الكتابة عليها من قبل ولا علاقة لها بحياة المتوفى ولا عملية التحنيط.

وقد عرض رئيس قسم الترميم بالمتحف لمراحل فصل تلك المحررات عن بعضها بعضاً، ووسائل التعرف على الأجزاء الخاصة بكل محرر ليتم حفظها كل بذاته بين لوحين من الزجاج، ليعرض علينا فى النهاية أن تلك المحررات كانت تستعمل فى التعاملات الحياتية للمصريين القدماء، مثل محررات البيع والشراء والإيجار ، وكذا محررات وعد بالسداد الآجل فيما نسميه بلغة اليوم «الكمبيالات» كما وجدت عقود إيجار لاستعمال حيوانات الحقل، بل أكثر من هذا وجد أحد المحررات فيه ما يشبه عقد الزواج بالمفهوم الحديث، وبه أيضا خطاب من زوج لزوجته ينهى العلاقة الزوجية بينهما حرر بأدب واحترام شديدين، وعزا سبب الطلاق إلى أن الحب بينهما لم يعد موجوداً، وشكرها على الأيام الجميلة التى جمعت بينهما، وسمح لها بموجب الخطاب أن تحتفظ بالبيت وكافة الموجودات فيه وأيضا العبيد والحيوانات والطيور، وأعطاها الحق فى الزواج من غيره وتعهد بسداد احتياجاتها المادية فور طلبها ذلك.

لذا زميلى العزيز، فان لك الحق كل الحق أن تفتخر بانتمائك لهذا الوطن وانحدارك من هذه السلالة الممتازة من الأجداد العظماء التى حرصت على الحضارة بكل مظاهرها، وحلت مشكلة الإهدار فى الموارد بإعادة استخدام المستخدم منه، وذلك قبل أن يعرف العالم شيئا عن ذلك، وهذا بشهادة إعلامية موثقة صادرة من علماء إحدى دول العالم المتحضر، تشهد لنا بالسبق الحضارى بأربعة آلاف سنة من الزمان.